

المحاضرة الأولى : ما هو النقد

أن البحث في موضوع ماهية النقد يعد من المسائل الإشكالية شديدة التعقيد لكون مفهوم النقد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهومه المعرفي وماهيته الجمالية في صلب الاهتمامات الفكرية المستمرة , فمنذ كان الإبداع كان الرأي حوله , ولا يمكن فهم الأصول الاجتماعية والفلسفية لمفهوم النقد من دون الرجوع إلى الفلاسفة وعلماء الاجتماع الذين ساهموا في إرساء قواعده , ويقف على رأس هؤلاء الفيلسوف (عمانوئيل كانط) في نقده للعقل الخالص والفيلسوف (فردريك هيغل) في جدليته والفيلسوف (كارل ماركس) في نقده للاقتصاد السياسي , والفيلسوف (فلهام دلتاي) في اتجاهه التأويلي ورواد مدرسة فرانكفورت في علم الاجتماع النقدي , وقد شكلت هذه التيارات الفكرية المصادر والأطر العامة للفلسفة وعلم الاجتماع النقديين ومهدت الطريق لجميع الاتجاهات النقدية الحديثة .

أن مفهوم النقد بشكله الحديث يعود إلى نهاية القرون الوسطى التي مهدت الطريق لتطور مفهوم النقد في إبعاده الاجتماعية والثقافية والفلسفية , وقد جاءت كلمة نقد (Critic) لأول مرة في اللغة الإغريقية بمعنى الاختبار أو الحكم , وفي الوقت ذاته دلت كلمة (نقد) على نوع من الجدل العقلي أو النشاط المتميز للعقل من أجل الوصول إلى معرفة أخرى .

النقد : هو ((فن الحكم)) أي الفصل بين الأشياء والحقائق التي يختلف عليها ووضعها موضع التساؤل , وهو بهذا إحدى أهم القابليات العقلية في الاختبار والحكم التي يمتلكها الإنسان والتي تجنبه الخطأ والضلال , والنقد يشترط وجود قدرة وإمكانية لمعرفة مناحي القوة أو الضعف في الموضوع المنقود أو في كليهما , مثلما يشترط أن لا يكون هجوماً على الشخص ولا حتى الشعور بالهجوم , لأن أي تعامل خاص مع أي موضوع أو نص أو وجهة نظر يعد عموماً حكماً مسبقاً يظهر خاصة بتأثير عاطفة أو نزوة أو مصلحة , كما أن النقد فن يتطلع إلى أن يجعل من قراءة نص من النصوص الأدبية تحفة فنية يستخلص من خلالها تجسيدها عناصر الجمال ومواطن الابتكار ومظاهر الجودة والإعجاب فيها .

والنقد على نوعان نظري وتطبيقي , فالنقد النظري ضروري لازدهار الحقل المعرفي من حيث كونه ذو طبيعة تأسيسية وتأسيسية معا , حيث يبحث النقد النظري في أصول النظريات وفي جذور المعارف وفي الخلفيات الفلسفية لكل نظرية وكيف نشأت وتطورت وازدهرت وأفلت ويقارن فيما بينها ويناقش تياراتها المختلفة عبر العصور المتباعدة أو عبر عصر من العصور , بينما يكون النقد التطبيقي ثمرة من ثمار النقد النظري الذي يزوده بالأصول والمعايير والإجراءات والأدوات ويؤسس له الأسس المنهجية التي يمكن أن يتخذ منها سبيلاً يسلكها لدى التأسيس لقضية نقدية أو لدى دراسة نص أدبي أو تشريحه أو التعليق عليه أو تأويله .

والصعوبة في عملية النقد تأتي من خضوعه لاختبار حر ومفتوح , لأن العامل الأساسي في ذلك هو تقديم الدلالات والبراهين الكافية لبيان مناطق القوة والضعف , مثلما ترتبط قابلية النقد بقابلية تقديم الحجج المقنعة , والنقد عملية تساعد على تنمية الفكر وتحريكه والتخلص من عقدة الخوف والوجل والتردد من قول الحقيقة , وتوليد أفكار ورؤى جديدة , ولذلك فهو عملية ضرورية للتخلص من الطاعة العمياء والخضوع والانقياد الأعمى , وعدم طرح الآراء والأفكار من دون تأمل , كما يرتبط سؤال النقد بالحرية , لأن نقد الفكر من الداخل غالبا ما يكون محكوما بقيم وقواعد وأعراف وشروط إنتاج المعرفة في المجتمع .

النقد والإبداع : النقد منذ البداية جزء من تاريخ الفكر والمعرفة والثقافة التي انبثق عنها , لأنه عملية قائمة في سياق تاريخي وفكري مرتبطة بالتغيرات الذاتية والموضوعية وكذلك بالمناخ الاجتماعي – الثقافي وتاريخ الأفكار والنظم والفلسفات التي أثرت بدورها على حركة النقد وأنواعه واتجاهاته وخاصة الحركات الفكرية والاجتماعية والسياسية .

ورسالة النقد ذات أبعاد متعددة , فهو آلية من آليات الخلق والإبداع التي تفكك الخطاب وتحلله وتؤوله , بعد أن تستشرف فضاءاته وأفاقه وأبعاده ودواخله وتسبر جوهره لتعيد إنتاجه بخطاب جديد , ولهذا أصبح النقد شرط الإبداع , والإبداع شرط التطور والتقدم .

وإذا كان النقد إبداعا فهو يشترط ذائقة نقدية , مثلما يشترط امتلاك أدواته النقدية وكذلك ذائقة جمالية , لأن النقد خطاب جمالي ذو منطلق علمي تتحدد قيمته بمدى الحرية المفتوحة أمامه , ومدى الوعي بهذه الحرية واستخدامها , وكذلك التمكن من استخدام أدواته النقدية وذائقة الجمالية ومخزونه المعرفي الذي ينبغي أن يستجيب للتعديل والتطوير ليكون إبداعا وابتكارا وأصالا .

نشأة وتطور النقد عند الإغريق

١- **النقد الإنشائي :** وهو النقد المتمثل بمحاولات الشعراء المستمرة في تجويد إشعارهم والتي ابتدأت مع ظهور أولى لبنات الأدب المتمثلة بالأساطير والملاحم الشعرية الإغريقية (الإلياذة – الأوديسة) التي نظمها الشاعر الإغريقي (هوميروس) .

٢- **نقد الرواة :** وتمثل هذه المرحلة محاولات رواة شعر (هوميروس و هيسيود) تهذيب ألفاظ الشعر وعباراته وتغييرها عن طريق الإضافة أو الحذف بقصد التحسين وكانت هذه المحاولات أولى خطوات النقد الحقيقي .

٣- **مرحلة تدوين الشعر الإغريقي :** وقد جرت هذه العملية في القرن السادس قبل الميلاد حيث جرت عملية بحث النصوص المختلفة وتحقيقتها وإبداء الآراء فيها قبل تدوينها .

٤- ظهور الشعر الدرامي : وهي مرحلة مهمة ساعدت على تطور النقد حيث أشرك الجمهور في عملية تقييم النصوص والحكم عليها وهو الأمر الذي دفع الشعراء للاهتمام بنصوصهم بغية الحصول على الجوائز الممنوحة في المسابقات .

٥- ربط الشعر بعواطف البشر : نظم الكاتب الدرامي الإغريقي (اريستوفان) ملهاة (السحب) وهي مسرحية تصور صراع الشعراء مع الفلاسفة حيث كان بعض الفلاسفة ينبذون الآلهة وعلى رأس هؤلاء الفيلسوف الإغريقي (سقراط) , وقد تحدث اريستوفان في هذه المسرحية عن مشاكل الناس الدينية والسياسية , كما نظم نفس الكاتب مسرحية (الضفادع) ويدور موضوعها عن الشعر والشعراء وقد تناول فيها مشكلة القديم والجديد حيث مثل القديم الكاتب (اسخيلوس) والجديد الكاتب (يوربيدس) الأول يتحدث عن الآلهة والثاني يتحدث عن الواقع وفي هذه المسرحية ناصر اريستوفان اسخيلوس واتهم يوربيدس ببعده عن الدين والأخلاق .

٦- نقد الفلاسفة : ومن بين هؤلاء (السفسطائيون) الذين كان لهم دور كبير ومميز في تنميق أسلوب الخطابة واختيار الألفاظ كما نظروا في الشعر واختيار الأوزان الشعرية , بينما كان الفيلسوف سقراط خصما للسفسطائيين وللشعراء إذ كان دائما ما يسأل الشعراء عن معارفهم من الحكمة وهدفهم من نظم الشعر كما كان يرى في الشاعر الملهم أنه لا فضل له في قول الشعر لأنه يقول وهو تحت تأثير الإلهام فلا يعي ما يقول , أما الفيلسوف (أرسطو) فقد عد المحاكاة هي الأساس للفن والشعر وأن هذه المحاكاة للطبيعة تكون على نوعين الأولى محاكاة للصوت عن طريق الغناء والموسيقى والشعر ومحاكاة للشكل واللون عن طريق التصوير والنحت .